حتى لا تحرق أجنحتي

لطيفة قرناوط

obeikan.com

الكاتبة في سطور

سأُخبركم سرًا كان حافزًا لي في السعي لتحقيق حلمي، منذ أكثر من عشر سنوات كتبت أول رواية وسألت وقتها صديقاتي عن كيفية تسجيلها لدى ديوان حفظ حقوق المؤلف فضحكن مني ومن حلمي لكنني لم أستسلم ولم تهتز إرادتي وسعيت وراء حلمي.

بدأت بالنشر الإلكتروني ثم تحقق حلمي ونشرت ورقيًا أول مجموعة قصصية بعنوان " نبض الأنوثة لا يموت " مع دار نشر جزائرية.

التقيت صدفة مع مشروع (**وعد الروح**) وشاركت بقصتي (**حتى لا تحرق أجنحتي**).

قابلتني عدة عراقيل في محاولة نشرها مع المجموعة بسبب القوانين التي تفصل بين البُلدان العربية لكن بإصرار مني وتفهم من القائمين على دار الشهد للنشر والتوزيع تحقق الحلم وها هي صغيرتي بين أيديكم

نسيت أن أُخبركم أن اسمي هو لطيفة قرناوط مُحامية من الجزائر أنشر كتاباتي على حسابي الشخصيlatifa kar

وعلى صفحتي " **نبض الأنوثة لا يموت** ".

Obeikan.com

حتى لا تحرق أجنحتي

تقدمت إيمان بخُطى ثابتة إلى منصة التكريم، صعدت الدرج بأناقة ومشت حيث قُدم لها درع تكريمي تلقته مُبتسمة ثم توجهت إلى حيث الميكروفون لتلقي كلمتها، جاء صوتها واضحًا رقيقًا لكنه قوي:

مساء الخير عليكم.. أريد بداية أن أقص عليكم قصة المشوار الذي جعلني اليوم أقف على هذه المنصة.. كنتُ في الثالثة عشر من العمر، أتذكر ذلك اليوم جيدًا عندما سمعت جلبة في صالة بيتنا، خرجت مُسرعة لأرى ما الذي يحدث فإذا به شقيقي يُحاول التهجم على غرفة أختي وكسر بابها، بينما والدتي تقف بينه وبين الباب تحاول منعه والتوسل إليه أن يترك شقيقتي في سلام.

كان أخي يصرخ:

(سأقتلها، سأمحي عارها وأغسل شرفنا)

بعد جهد جهيد وتوسلات وبكاء من والدتي، خرج أخي من المنزل متذمرًا وهو يتوعد شقيقتي أن الأمر لم ينتهِ بعد، جلست والدتي في الصالة تبكي وتندب حظها موجهة كلامها بصوت عالٍ حتى تسمعه ابنتها المُختفية في غرفتها (ما الذي قصرت فيه معك حتى تُكافئيني هكذا، ما الذي فعلته لكِ حتى تُشمِّتي بي الجيران والعائلة فيقولون ابنة زينب " خاطئة " سلمت نفسها لرجل في الشارع، فعل بها ما أراد ورفض حتى أن يسترها ويرتبط بها، ما الذي فعله لك والدك وشقيقك حتى تُمرغي رأسيهما في التراب.....)

لم أكن أستوعب الكثير مما كانت تقوله والدتي، لكن في الأيام التي تلت ومع

توتر الأجواء في بيتنا بدأت أفهم وأستوعب تلك الكارثة التي حلت على عائلتنا، عندما كبرت فهمت كل شيء لأنني اطلعت على كل التفاصيل، لقد تعرفت شقيقتي على شاب ادعى أنه يُحبها ويريد الارتباط بها عندما تتحسن ظروفه، طلب منها الصبر ولكنه ألح على مقابلتها مرة أو مرتين في الأسبوع، ولأنها كانت تخشى والدي وأخي كانت تضطر لمقابلته بعيدًا جدًا عن الأماكن التي يمكن أن يراها أو يقابلها فيها شخص يعرفها، كان حبيبها المزعوم يأخذها إلى الغابة والحدائق العامة أين يمكنه الاختباء بها وسط الأشجار والأعشاب، حتى لا يراهما أحد ولأنها كانت مُغيبة بكلمات غزله وعشقه فقد وثقت به وتركته يأخذها أين شاء ظنًا منها أن رجلًا يحبها لن يؤذيها.

ولكن ما كانت تجهله هو أن هذا الرجل لم يكن يحبها بل كان يدَّعي ذلك، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي انقلبت فيه دنياها ودنيانا رأسًا على عقب فقد تمادى معها في ما كان يأخذه منها ولأن غريزته غلبته فقد حاول الوصول بمتعته إلى منتهاها، رفضت شقيقتي وقاومته، لكنه كان مُغيبًا تُحركه غريزته واعتدى عليها، هتك عرضها واغتصبها رغم مقاومتها، وبعدما انتهى الأمر حاول تهدئتها بأن وعدها بأنه سيتزوجها وأن ما حدث لن يؤثر في علاقتهما.

في الأيام التي تلت كان يتهرب منها ولا يرد على مكالماتها الهاتفية وعندما ألحَّت عاد إليها يستغلها في كل مرة ويهددها أنها إن لم تستسلم له سيتركها ويتزوج بغيرها، ثم وصل به الأمر إلى طلب النقود منها فبدأت تعطيه حليها يبيعها ويأخذ ثمنها، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد وراح يطلب مبالغ كبيرة ولأنها لم تعد تملك من المجوهرات شيئًا تسلمه له، طلب منها أن تحضر له من حلي

والدتها فأخبرته أن والدتها تضع مجوهراتها في حقيبة صغيرة مغلقة بأرقام سرية لا يعرفها أحد سواها فطلب منها إحضار الحقيبة، رفضت وبكت وتوسلت لكنه هددها أنه سيفضح أمرها ويرسل صورهما إلى شقيقها ووالدها مع رسالة من مجهول تخبرهما بأنها لم تعد عذراء.

خافت وارتعبت، قضت ليالي طويلة تفكر في حل لهذه المشكلة، غير قادرة على الوصول لمن ينقذها من هذا الحيوان الذي ظنت يومًا أنه رجل عاشق ووثقت به، في النهاية وجدت نفسها مغلوبة على أمرها فأخذت الحقيبة خفية وسلمتها له، لكن ما لم تحسب شقيقتي حسابه أن والدتي احتاجت مجوهراتها ولم تجد حقيبتها، قامت عاصفة في المنزل بحثًا عن الحقيبة وتم إبلاغ الشرطة، كان الضغط رهيبًا في بيتنا وحالة أُختي تزداد سوءً يومًا بعد يوم ووالدتي تسألها عن سبب حالتها تلك، ثم أخذتها إلى الطبيب وعرضتها على الرقاة دون جدوى، شكَّت الشرطة في الأمر وبعد الضغط عليها اعترفت أنها سلمت الحقيبة لشخص كان يهددها بصورهما معا وأخفت أنه اغتصبها خوفًا من شقيقي ووالدي.

تم القبض على ذلك الشخص واعترف مباشرة أنه على علاقة بها وأنها هي من سلمته نفسها راضية وأنه لم يُرغمها على شيء، أنكر أنه كان يهددها وصرح أنها هي من سلمته الحقيبة بمحض إرادتها ليبيع ما فيها حتى يتزوجا وأنها أخبرته أن ما فيها ملك لها هي وأنه لم يكن يعرف أنها سرقتها من والدتها، تم استدعاء والدي وإعلامه بالجديد وتم عرض شقيقتي على طبيبة نسائية أكدت أنها ليست عذراء.

كاد والدي يتسبب في قتل أختي من شدة الضرب ولم تسلم إلا بعد تدخل والدتي التي كانت تتلقى الضرب مكانها، في الأيام التي تلت تعرضت شقيقتي

للضرب من طرف أخي ولم يُنقذها من الموت من بين يديه إلا والدتي التي كانت تعود لسبها وشتمها والبكاء طيلة الوقت على حظها العاثر، بعدها تم سجن شقيقتي في غرفتها خوفًا عليها من قتلها من طرف شقيقها.

عُرضت القضية على العدالة وانتشرت الفضيحة بين العائلة والجيران تمت إدانة ذلك المجرم بتهمة السرقة وتبرئته من تهمة الاغتصاب لعدم وجود أدلة أنه أخذ شقيقتي غصبًا عنها، أُفرج عنه بعدها بمدة قصيرة بسبب العفو الرئاسي الذي شمله مع من تم العفو عنهم في عيد الاستقلال، خطب ابنة حينا وتمت الموافقة عليه كأنه لم يفعل شيئًا لأنه رجل والرجل لا يُعيبه شيء، كان يأتي إلى حينا يتبختر فيه كأسد مُنتصر، أصبح والدي مُكللا بعار ابنته، ترك عمله وسجن نفسه في البيت وكاد شقيقي يفقد عقله غضبًا وخذلانًا، ليلة عرس ذلك المجرم تهجم عليه شقيقي وقتله بطعنات متتالية بسكين غرزه في جانبه الأيمن ودخل السجن بتهمة القتل مع سبق الإصرار والترصد، باع بعدها أبي بيتنا وانتقلنا إلى بيت جديد في حي آخر، بعد سنتين أُصيب والدي بجلطة دماغية تسببت له في شلل كلي فقد على إثرها قدرته على الكلام أو الحركة، عشنا بعدها سنوات من الألم والضياع، الشيء الوحيد الذي تمسكت به وقاتلت من أجله هو حلمي بأن أُكمل دراستي.

اتصلت بالمحامي الذي كان مُكلفًا بقضية شقيقتي واطلعت على ملفها وعرفت كل التفاصيل التي أخبرتكم بها بعد إنهاء دراستي وبعد سنوات من العمل تمكنت من إنشاء جمعية للدفاع عن المرأة، هذه الجمعية هي بيت يحتضن كل فتاة لم تجد الجرأة على التصريح بأنها اغتصبت، هي مأوى لكل فتاة لفظها مجتمعها وتخلت عنها عائلتها، هي مكان تلتقي فيه المُغتصبات ليُشجعن بعضهن،

يتلقين العلاج النفسي والدعم المعنوي الذي افتقدنه في محيطهن، هي ملجأ للنساء اللواتي تتعرضن للضرب والعنف الجسدي، هذه الجمعية هي قبل كل هذا مدرسة لتوعية الناس والعائلات أننا نحن كأفراد نتحمل كلنا مسؤولية ما يحدث لهؤلاء الفتيات، أنا لا أريد أن أُعطي العذر لشقيقتي ولا لمثيلاتها نعم شقيقتي أخطأت لأنها أحبت من لا يستحق، لأنها وثقت بمن لا يستحق الثقة، لكنها عندما اُغتصبت لم تستطع التصريح بذلك أتعلمون لماذا لأنها كانت خائفة لأن عائلاتنا ترفض الوقوف مع بناتها خشية العار لماذا لجأت شقيقتي لرؤية هذا الرجل في مكان بعيد عن الأعين، لأن والدتي لم تعرف كيف تُصادقها لتُعلمها أن الحب الذي يكون في الظلام هو حب حرام، لأن والدي لم يُعلمها أنها إنسان كامل مسؤول عن نفسه بل تركها لتحكمات شقيقي الذي كان يمنع عنها حتى الخروج مع صديقاتها.

لأنها كانت تُعاني من الضرب والتعنيف وانعدام الثقة فلجأت هي إلى ذلك الحيوان، لأنها كانت ترغب بالهروب من بيت تحس فيه أنها سجينة وأنها تُعامل كقاصر لا تبلغ سن الرشد أبدًا فقط لأنها امرأة، هذه الجمعية تأسست لنقول من خلالها صادقوا أولادكم وعاملوهم بالمساواة، علموا بناتكم الثقة في أنفسهن من خلال ثقتكم فيهن، اجعلوا بناتكم يعشن حياتهن في النور حتى لا يمُتن في الظلمة، علموهن الصواب من الخطأ واتركوا لهن الفرصة في الحياة، في الحلم، في الأمل تحت أجنحتكم دون أن تقطعوا أجنحتهن، علموهن الطيران في فضاء الحياة دون خوف، دون تسرع ودون المضي إلى حتفهن وهن غافلات.

هذه رسالة الجمعية التي أُسست من أجلها ومازلنا نُناضل لنصل بقيمها إلى

الجميع، في النهاية شكرًا لكل من ساهم معنا وشكرًا لكل من ألهمنا)

تعالت أصوات التصفيق نزلت هي بنفس الأناقة التي صعدت بها المنصة، رغم كل هذا الجهد ورغم كل ما وصلت إليه، مازالت تلك الغصة بقلبها تخنقها وهي تتذكر صورة شقيقتها مُلقاة على سريرها والدم ينزف من معصمها الذي قطعت عروقه بعد أن يئست من فرصة ثانية في الحياة، لا أحد غفر لها زلتها ولا استطاعت هي أن تُسامح نفسها، فاختارت الرحيل بتلك الطريقة الجبانة، فخسرت دنياها وآخرتها، من يومها وهدفها هو أن تمنح تلك الفرصة لمثيلات أختها، حتى لا يخسرن ما بقي من حياتهن، أو على الأقل حتى لا يخسرن آخرتهن، ابتسمت وابنتها الصغيرة ترتمي في أحضانها، عانقتها وهي تنظر إلى ذلك الرجل الذي يحملها بين ذراعيه، رجل أعاد لها الثقة في الحياة، تقدم منها وهو يعرف تمام المعرفة شعورها المؤلم في هذه اللحظة وهي تتذكر نهاية شقيقتها، وضع قبلة على جبينها وهو يقول (أنا فخور بكِ يا زوجتي الحبيبة) دمعت عيناها رُغما عنها وقد اختلط بداخلها الألم بالفرح.

تمت بحمد الله

openkan.com